مجلة أوراق بحثية
ISSN :2773 -3343
EISSN :2830 -831X
مجلة علمية مُحكَّمة نصف سنوية ، متخصصة في علوم المكتبات والمعلومات
تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)
المجلد الثالث، العدد الأول / جانفي- جوان (2023)

علاقة الطفل بفضاء المطالعة: إشكالية العزوف على القراءة وسبل المصالحة

Children's ties to the Reading Space: Reading reluctance and Ways of Reconciliation

د. آمنة المداني[1] ❖
[1] مخبر علم المعلومات SILAB- المعهد العالي للتوثيق، جامعة منوبة -(تونس)

تاريخ الإرسال: 18-01-2023	تاريخ القبول: 2023/06/17	تاريخ النشر: 2023/06/30

المستخلص

سنعمل من خلال هذه الورقة على تقديم دراسة تحليلية لمسألة علاقة الطفل بفضاء المطالعة بين إشكاليّة العزوف على القراءة وسبل المصالحة، حيث نشهد تراجع ملحوظ لفعل المطالعة والذي يصل الى درجة العزوف عنها وعن أية صلة تربط طفل بعالم الكتاب والمكتبات. ولعلّ هذه الأزمة قد جعلت من ممارسة القراءة تشهد تحولا عميقا في اتجاه الاستغلال الأمثل لتكنولوجيا المعلومات.

من أجل ذلك سنتناول فيها كمرحلة أولى، علاقة المطالعة بالتكوين الثقافي وبالبناء المعرفي، تكون مصحوبة في نفس الوقت ببعض التعريفات لأهم المفاهيم، مع بيان دور المكتبات في نشر المعلومة الايجابية. لننتقل في مرحلة ثانية الى توضيح أسباب العزوف عن المطالعة وتراجع الإقبال عن المكتبات، مبينين تأثيرات هذا النفور على المستوى الفكري للناشئة. ولننتهي في مرحلة ثالثة الى تناول أهمية التدخل التكنولوجي كبديل في توسيع مفهوم المكتبة و في تفعيل فعل المطالعة وتثمين القراءة.

الكلمات المفتاحية : المكتبات - القراءة – المطالعة – الثقافة - تكنولوجيا المعلومات

❖ المؤلف المرسل: madani_emna@yahoo.fr

Abstract

This paper aims to provide an analytical study of the issue related to the child's relationship with the space of reading, therefore, it tackles the issues of reading reluctance and suggests ways of reconciliation. We have been noticing a continuous decline in the act of reading as children are being reluctant to read which make them disconnected to the world of books and libraries. It could be suggested that this crisis might has caused the practice of reading to take a profound shift towards to the direction of optimal exploitation of information technology.

For this reason, we will firstly treat the relationship of reading to cultural formation and knowledge construction, accompanied at the same time by some definitions of the most important concepts, with an indication of the role of libraries in disseminating positive information. Secondly, we will explain the reasons for reading reluctance and the decline in demand for libraries, showing the effects of this aversion on the intellectual level of young people. Finally, we will address the importance of technological intervention as an alternative in expanding the concept of the library and in activating the act of reading and valuing reading.

Keywords: libraries – reading – culture – information technology .

التقديم

" سُئلت عمن سيقود الجنس البشري ؟ فأجبت: الذين يعرفون كيف يقرؤون"
(فولتير)

من خلال تثمين فولتير لفعل القراءة، فإننا نفترض أنّ الشخص الذي يقضي وقتاً خاصاً به في المُطالعة هو الأقدر على تحرير نفسهُ من دائرة القيد الفكري، الذي ضربتهُ عليه الغريزة في الهدوء وعدم الإجهاد العقلي، إلى دائرة التفعيل البنّاء لمهاراته الفكريّة والعقليّة ومعرفة كيف يستفيد من قراءاته ليكتسب قوّة وحُجّة وبيان وقدرة على الفهم والتعبير والتفكير. فرغم أن مصادر المعلومة أصبحت اليوم متعددة ومتوفرة أينما كانت، وتقترح نفسها برغبة من الفرد أوخارج رغبته، الاّ أن بناء العقل المعرفي القادر على الفهم والتفسير العلمي، يقتضي في رأينا شيئا آخر أكثر جدية من مجرد توفير مصادر المعلومة. إنّه يتطلب تثبيت روح المطالعة وتوفير

المسالك الضرورية لها، باعتبار أن المعلومة التي تتخذ شكل المعرفة أو التي تساهم في تشكيلها، لا يمكن أن تتأتى سوى من المطالعة بإعتبارها فعلا.

من هذا المنطلق نقول أنّ المطالعة تمثّل ركيزة أساسيّة لإرساء المعالم الثقافة وتنويعها، لتوسيع آفاق الطفل الفكريّة واللغويّة وفي بناء شخصيّته، وإنماء ملكاته وتخصيب خياله، من خلال الإنفراد بالمكتوب في قراءة صامتة يمرّ فيها القارئ من الرموز الخطيّة الى المعان الذهنيّة. وفي هذا الإطار، يجمع الأخصائيون على أهميّة مرحلة الطفولة في تشكيل الميول القرائيّة وتنميتها، حيث اعتبر العمل على تعزيز ثقافة المطالعة والترغيب فيها رهانا استراتيجيا من أجل تنشئة الطفل تنشئة معرفية سليمة، بتشكيل ميولاته القرائيّة وتنميتها في اتجاه التماثل مع المستجدات المعرفية.

لكن بقي أنّ غرس عادة القراءة وتكريسها في نفس الطفل تقف دونها عوائق متعددة، يعود بعضها الى تأثير البيئة الإجتماعيّة وظروفها، والتغييرات المرتبطة برغبات الطفل نفسها، والتي تأثرت بإختراق التكنولوجيا عالم الطفل، فقلصت من عناصر الجذب والتشويق في كتب الأطفال، بما يعكسه ذلك على قناعة الطفل بالكتاب. وما يثير القلق اليوم هو ما نعيشه من مفارقة تتجه أكثر نحو التسليم بما أصبحت تنتجه وسائل التواصل من كثافة معلوماتية، مقابل تراجع ملحوظ للمطالعة يصل الى درجة العزوف عنها وعن أية صلة تربط طفل اليوم بعالم الكتاب والمكتبات، رغم أن هذه الفضاءات أصبحت تعتمد ولو بإحتشام على المحامل الالكترونية استجابة لتطور وسائل كسب وانتاج المعلومة.

ولعلّ هذه الأزمة قد جعلت من ممارسة فعل المطالعة يشهد تحولا عميقا في إتجاه الاستغلال الأمثل لتكنولوجيا المعلومات، من أجل الترغيب في المطالعة وإكساب الأجيال القادمة مهارات قرائيّة تساهم في تنشئتهم على أسس ثقافيّة سليمة وتعدّهم للإنخراط الإيجابي في القرية الكونيّة الجديدة. بعبارة أخرى، إنّ هذا التحول في قناعات الطفل القارئ هوما سيجعل من مسألة التركيز على كيفية استغلال تكنولوجيا المعلومات في مجال ترغيب الطفل في المطالعة وتشجيعه على القراءة أمرا حتميّا، حتى لا تحول التقنيات الحديثة دون تحقيق الأهداف المرجوّة، ليتحوّل قطاع المعلومات في زمن شبكات الإتصال الى مؤسسات فاعلة تتضاعف وظائفها وتتنوع طرق الإستفادة من خدماتها عبر الإطلاع عن بعد على المجموعات الرقميّة التي تحتويها، الأمر الذي سيضع أخصائي المعلومات أمام تحدّ جديد، وسيفرض على مكتبات المستقبل تحويرا في وظائفها (Bourque, 2017)، لتتحول إلى مؤسسات فاعلة تتضاعف وظائفها وتتنوع طرق الإستفادة من خدماتها عبر الإطلاع عن بعد على المجموعات الرقميّة التي تحتويها، مما يضع مختلف أشكال المكتبات والمكتبيين أمام عديد التحديات وعديد التساؤلات حول طبيعة مكتبة المستقبل وأشكال المطالعة الجذابة.

تكمن أهميّة هذا الطرح في جدية تناوله لواقع مغيب في ثقافتنا الراهنة، خاصة أن الأجيال الحالية أصبحت تميل أكثر فأكثر نحو المؤثرات السمعية البصرية المحملة بمضامين استهلاكية ولكنها غير فاعلة على المستوى المعرفي، الأمر الذي قد يضع المجتمع العربي مرة أخرى أمام وضعية اعادة انتاج الكساد المعرفي وتعميق الفجوة بيننا وبين المجتمعات الفاعلة في لحظتها التاريخية.

بهذا المعنى يجوز لنا التســاؤل إشــكاليّا عن دور المكتبات اليوم، في ظل التغيرات التي بدأت تطرأ على أشكال المطالعة والمقترنة بدورها بتطور وسائل الإعلام وتطور محامل تخزين وتمرير المعلومة.

لمعالجة هذا الإشكال، سنتطرق إلى تمفصلات الدراسة من خلال محاولة الاجابة عن التساؤلات التالية :

- أي معنى للمطالعة والمكتبات؟
- هل يمكن أن تكون وضعية المكتبات اليوم سببا في العزوف عن المطالعة ؟

واذا افترضــنا أن بنية المكتبات وطبيعة الخدمات التي تقدمها اليوم، ســببا في تأزم واقع المطالعة، فهل يمكن تصــور واقع مغاير للمكتبات قادر على اســتثمار التكنولوجيا الحديثة للمعلومات، من أجل تعزيز ثقافة المطالعة؟

وهل يمكن بتعصير المكتبات والدفع بها نحو الرقمنة، أن نتحدث فعليا عن ديمقراطية المطالعة والتوزيع العادل للمحامل الثقافية؟

1. في جدلية العلاقة بين المطالعة والثقافة :

تعتبر المطالعة مدخلا في بناء المعرفة واكتســاب الثقافة لما تفرضــه من وقوف على الموروث الثقافي قصــد التعرف عليه، وعبر الإحتكاك المباشر به، لما له من قيمة وأهمية ومعنى، وما يخفيه في طياته من طرق ووســائل تتضـمَّن أسـاليب الإدارة، ونمط التفكير، وآداب السـلوك والمعتقدات، والأخلاق والقيم التي تحكم الجماعة، ولغة، ونمط ومن علاقات وأنظمة سلوك. ولعل هذا الأمر يجعلنا أيضا نعي الصلة بين مفهوم المطالعة ومفهوم الثقافة لإرتباطهما المباشر بمسألة الهوية بما هي تأصل في الثقافة من ناحية، ووسيلة إتصال بتراث الآخرين، من ناحية أخرى(راشد، نتيلة، 1988).

ولعل شيوع مصطلح الثقافة يجعل من الصعب تعريفه، لكن وقع الإتفاق على أنّ الثقافة مجموعة العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشرـي، بغض النظر عن مدى تطوره العلمي أو مسـتوى حضــارته أو عمرانه وأنه كلما زاد نشــاط الفرد ومطالعته واكتســابه الخبرة في الحياة زاد معدل الوعي الثقافي لديه.

في الحقيقة وحتى نقف على ملامح العلاقة بين المطالعة والثقافة فإننا سـنحاول لمس ذلك من خلال الوقوف عند مفهومين أســاســيين وهما القراءة والمطالعة بإعتبار انّ الأولى هي آليّة الثانية والتي ســينتج عنها تراكما معرفيّا يجعلنا نشـعر أن الآثار التي سـيتركها فعل المطالعة بإعتبارها عادة تمارس كثقافة، سـيطلق عليها فيما بعد بالتحصيل الثقافي.

1.1. في مفهومى القراءة والمطالعة

تتعدد التعريفات التي اســندت الى مفهوم القراءة، ولا يرجع هذا التعدد إلى قصــور في إدراك معناها بقدر ما يرجع إلى ضـخامة هذا المفهوم وتعقده وتعدد جوانبه، ولعل هذا التنوع في وجهات النظر المختلفة لمسألة القراءة

وتعدد مدارس تفسيرها، يعود أيضا إلى التطور الحادث في علوم اللغة، وعلم اللغة النفسي، والتقدم الهائل في بحوث القراءة وتفسير عملياتها.

وفي حقيقة الأمر أن هناك عمليات عديدة يقوم بها القارئ أثناء القراءة لكونها عملية عقليّة معقدة، حيث تتضمن قراءة الفقرة، والحكم، والتحليل، والتركيب، والتفكير في حل الإشكال، والانتقاء، والاستدلال، والتنظيم، ومقارنة البيانات وتحديد العلاقات، والتقويم الناقد لما يقرأ. كما أن القراءة تتضمن أيضاً معالجة المعلومات، كالتفسير وإلحاق المعنى والتحليل، والتركيب، والحكم والاختزان.

وبشكل عام فإنّ المطلع على الأدبيات التي تناولت موضوع القراءة يجد العديد من المصطلحات لتعريف القراءة ومنها أن القراءة هي : سلسلة من المهارات المحددة تقوم على أساس إدراك العلاقة بين الرموز المكتوبة أوالخطية والأصوات المنطوقة، ذات المعنى والدلالات، وبالتالي فهي فعل كلي متكامل للمهارات اللغوية والإدراكية

ويشير البعض إلى أن المفهوم التربوي الحديث للقراءة يتضمن العمليات العقلية التالية:

-القدرة على تعرف على الكلمة المكتوبة.

-القدرة على ربط الكلمات بمدلولاتها.

-الاستجابة للمقروء, وتكييف السلوك والأفكار بحسب المادة المقروءة.

وتتنوع أشكال القراءة حسب طبيعة النص المقرؤ ومستوى القارئ فنجد :

- **القراءة النقدية** وتستوجب تفاعل القارئ مع الآراء، فيخضع المقرؤ للفحص والإختبار وصولاً إلى اتخاذ رأي خاص من حيث الإستحسان أوالرفض، وهذه المرحلة لا تتأتى للإنسان إلا عبر تجربة طويلة من التحصيل الفردي الذي يشكل خلفية فكرية وميزاناً عقلياً يزن به الأمور.

- **القراءة الشفافة** و يمارس معها القارئ التفكير الثاقب وقراءة ما بين السطور، حيث يهتم القارئ بالوصول إلى ما يرمي به المؤلف من هذه الجملة أو تلك.

- **القراءة الكلّية** وهي الإلمام بفكرة الكتاب العامة ومراميه الكلّية بمجرد تصفح الكتاب بشكل كلي ولمدة قليلة، وهذه القراءة لا يصل إليها المرء إلا بعد التمرس في عالم القراءة والمطالعة.

- **قراءة ما بعد السطور** وهي إدراك نتائج لم يصل إليها المؤلف أو على الأقل لم يصرح بها.

- **القراءة السريعة** والفكرة التي يقوم عليها هذا البرنامج هي أن القارئ وإن كان مدمناً على القراءة، فإنه يستطيع أن يزيد من سرعة قراءته عندما يتخلص من بعض عادات القراءة السيئة مثل تحريك الشفاه وربما اللسان أثناء القراءة وتعويده على تجاوز الشروح والتفاصيل والعبارات اللغوية الزائدة، وتعليمه على اصطياد الأفكار الرئيسية وغيرها من الأمور التي تساهم في الإسراع في عملية المطالعة (Définition de lecture,2005).

تعتبر المطالعة بداية الطريق نحو المعرفة ومن الوسائل الأساسية لتحقيق التعلم الذاتي، والمستمر، لكونها تمكن من تجديد المعلومات وتطويرها بصفة مستمرة، بالإضافة الى توسيع آفاق القارئ العلمية(Horellou-Lafarge, Chantal, 2007). والتعود على المطالعة ليس بالأمر الهين، حيث انها عملية تدريجية شديدة التعقيد، وتتأثر بمجموعة من العوامل والظروف الخارجية التي تحيط بالقارئ ، وهي مهارة شديدة الارتباط بالتعليم الذي يتلقاه الأفراد في المدرسة .

ويتخذ فعل المطالعة أشكال فنجد :

- **المطالعة المقررة** : وهي نشاط يمارسه التلاميذ في المدارس، لكونها أساسية في خدمة المناهج الدراسية، بهدف اغتنائها، وتوسيع معلومات التلاميذ، وزيادة فهمهم، وتنمية معارفهم، والقدرة على استخلاص أساسيات الموضوع الذي يدرسونه، مما يزيد في معارفهم، ويرقى بأسلوبهم في التعبير، وينمي شخصياتهم.
- **المطالعة الحرة** : وهي نشاط يمارسه التلاميذ داخل المكتبة المدرسيّة، وخارجها، ويلجأ إليها التلاميذ بمحض إرادتهم. تساهم بدورها في تنمية خبرات التلاميذ وتطوير أفكارهم، وزيادة مكاسبهم اللغوية، وتحسين أنماط التعبير لديهم. وتؤدي المطالعة الحرة إلى الكشف عن قدرات التلميذ وميوله القرائية.
- **المطالعة العمومية** : وهي لا تتمحور حول موضوع خاص، بل تُعنى بكسب المعلومات العمومية مثل قراءة المجلات والصحف وغيرها من هذا القبيل.
- **المطالعة التخصصية** : وهي تتمحور حول موضوع خاص ومشخَّص وتحتاج إلى تنظيم دقيق، وتعتبر هذه المطالعة أفضل أنواع المطالعات.
- **المطالعة الجماعية** : وهي ليست نوعاً وإنما وصف لطريقة من طرقها، وتتحقق هذه الطريقة بصورة جماعية وذلك بتعاون فكري وتكون غالباً ذات عمق وبعد أكبر، ويمكن تطبيق هذه الطريقة في المعاهد والدورات الثقافية، وذلك لرفع مستوى واهتمام الطلاب.
- **المطالعة الجمالية** : أو القراءة من أجل المتعة وتهدف إلى مجرد الاستمتاع بالقراءة أو إعجاباً بأسلوب وقدرة كاتب ما، وغالباً ما تكون هذه المطالعة للكتب الأدبية وخصوصاً القصصية منها.

يؤكد التربويون على اهميّة المطالعة في تنمية قدرات الطفل اللغوية، وإثراء مخيلته، وفي نجاحه المدرسي، وذلك لقدرتها على تزويد التلاميذ بالمهارات والخبرات اللازمة التي تمكنهم من اكتساب المعارف، سواء كان ذلك داخل القسم أو خارجه، ويبرز دور البيئة الاجتماعية في تنمية عادة القراءة لدى أفرادها من خلال الدور الذي تؤديه المؤسسات الاجتماعية والثقافية المختلفة مثل :

- **الأسرة** : ذكر علماء التربية أنه في سن الرابعة يكون 50% من ذكاء الفرد قد اكتمل لذا يجب على الأسرة الاهتمام بالجوانب الفكرية والعقلية للطفل، وتحضيره على التعلم، فالطفل الذي نشأ في بيئة منزلية تقدر القراءة، وتتيح له فرص التعرف على الكتب واقتنائها يكون أكثر ميلا وإقبالا على القراءة، من الأطفال الذين نشأوا في وسط عائلي لا يهتم بالكتاب ولا يقدر قيمته.
- **المدرسة** : هي البيئة الثانية التي يواصل فيها الطفل نموه المعرفي، وإذا تحدثنا عن المدرسة ودورها في غرس الميول القرائية في نفوس التلاميذ يتحتم علينا الحديث عن المكتبة المدرسية، باعتبارها مركز القراءة. وبالتالي فالمدرسة تلعب دورا كبيرا في إثارة اهتمام التلاميذ.
- **المكتبات** : لقد أنشأت المكتبات منذ القدم لسد احتياجات الإنسان من العلم والثقافات، بإعتبارها همزة وصل بين الكتاب والقارئ من جهة ، وبين القارئ والمعرفة من جهة أخرى .

ويعتبر تعلم أواكتساب مهارة القراءة والتعود عليها هو تمهيد للوصول الى مرحلة أرقى درجة وهي المطالعة التي يمارسها الفرد كسلوك عادي ضمن نشاطاته اليومية ، والتي لها اثر كبير على تنمية مختلف جوانب حياته.

ولقد توحدت نظرة مختصي_ وعلماء التربية بوجود علاقة قوية بين النجاح في الدراسة والقدرة على القراءة ومنها المطالعة، حيث يجمع المربون إن التلميذ الناجح في للدراسة غالبا ما يكون قارئا جيدا ماهرا والعكس صحيح، ويعود ذلك للأهمية البالغة التي تكتسيها المطالعة لكونها أساس العملية التعليمية، والوسيلة الفعالة التي تمكن التلميذ من التحصيل واكتساب المعرفة والحصول على المعلومات في مختلف المواد الدراسية. كما تعتبر المطالعة الشرط الحاسم الذي يعمل على إيجاد بيئة تساعد على اكتساب المعرفة الثقافية وتوفير بيئة مناسبة للابداع والتبادل والحوار الثقافي والانفتاح على حضارات العالم والأخذ منها بما يناسب خصوصيتها.

2.1. المكتبات وفضاءات المطالعة :

المكتبات هي أماكن مفتوحة للوصول إلى المعلومة بأشكالها المختلفة ومصادرها المتعددة وهي مجموعة منظمة من مصادر المعرفة تكون متاحة من أجل البحث والاطلاع والاستعارة.

في المدلول الأوسع غالبا ما تتجاوز الكتب المطبوعة بمعناها الضيق فتضم معها عددا من المواد الورقية الأخرى كالجرائد والنشرات وبقية الدوريات على اختلاف أنواعها وكذلك الخرائط والأطالس والرسمات الهندسية، كما أنها قد تضم أيضاً المخطوطات التراثية القديمة والمراسلات والمذكرات الحديثة وغيرها من المواد الورقية غير المطبوعة (Baune, Isabelle, , 2005).

بالمعنى التقليدي فالمكتبة هي فضاء يضم مجموعة من الكتب، هذه المجموعة يستغلها مستفيدون لا يريدون أو لا يستطيعون شراء مجموعة موسعة لأنفسهم، الذين يحتاجون إلى مواد قد لا توجد عند الخواص، أو الذين

يحتاجون إلى مساعدة محترفة في بحثهم. وخلال السنوات الأخيرة، أصبحت المكتبات تتعدى جدران المبنى . لكن مهما تغير شكل المكتبة، فإنها تضل المانحة للطفل الرغبة في القراءة والمعرفة وتضل ركيزة أساسيّة للتربية الشاملة والمتواصلة.

وتضطلع المكتبات اليوم بدور أكبر من مجرّد تشجيع القراءة المجانية، فنجد أنّ بعض المكتبات تحتوي إلى جانب الكتب، العديد من التحف الفنية الجميلة والنادرة، كما يتمّ بها عقد العديد من الندوات، والمؤتمرات، والجلسات النقاشية في المواضيع المختلفة وأماكن خاصة لعرض الأفلام، ومنصّات لإلقاء المحاضرات المختلفة وفي المجالات المتنوعة.

وتعتبر كثافة انتشار المكتبات بالدول مؤشّرا ثقافيا لرقيّها، سواء تركزت في إطار الأسرة بإعتبار أنها أول اشكال فضاءات القراءة التي تصادف الطفل وتسهم في تربيته وتوجيهه وإرشاده واعداده لتحمل المسؤوليّة، أو أن تكون المكتبة داخل الحرم المدرسي فيتعود الطفل على ارتياد فضاء المطالعة والبحث ليكتسب مهارات وميولات قرائيّة.

ويبقى حديثنا عن المكتبات والمطالعة مرهون في العلاقة التي تؤسسها المكتبة بين الطفل والكتاب بإعتبار أنها أفضل الوسائل لتنمية الوعي بالقراءة وتحقيق أهدافها. ولكن من يتأمل واقع المجتمعات المغاربيّة والعربية عامة ومن يتابع الدراسات والتقارير التي اجريت في السنوات الماضية عن واقع القراءة وتأثيراتها يدرك التراجع للذي يشهده عالم المطالعة. فهل صحيح مقولة ان العرب لايقرؤون؟ وهل ظاهرة العزوف عن القراءة طبع متأصّل في الشخصية العربية يمتد به الى جذوره؟

لعل هذه الاسئلة تذكّرنا بمقولة أحد العسكريين بالكيان الصهيوني "موشي ديان" : "***العرب لايقرؤون واذا قرأوا لايفهمون واذا فهموا لايحفظون واذا حفظوا سرعان ما ينسون***"، وفي صياغة أخرى ***" إن العرب لا يقرأون ، وإذا قرأوا لا يفهمون ، وإذا فهموا لا يستوعبون ، وإذا استوعبوا لا يطبقون ، وإذا طبقوا لا يأخذون حذرهم***" [1].

الخطير في هذه القولة هو نفي صفة الإنسان القارئ والمطلع والواعي على العرب، ويبدو اننا في تصديقنا لمقولة العرب لا يقرؤون وقعنا في احد معامل الاستعمار وهي القابلية للإستعمار.

فهل التنشئة والمرجعيّة العربية يتحمّلان هذه المسؤولية؟

[1] ارتبطت مناسبة قولة موشي ديان بحديث أجراه مع الصحفي الهندي كارانجيا أثناء زيارته اسرائيل، في الستينيات من القرن الماضي، حيث أعلن أنّ إسرائيل ستدمر الطائرات العربية في مرابضها بضربة سريعة ثم تصبح السماء ملكا لها وتحسم الحرب لصالحها, وحينها تساءل كارانجيا باستغراب: كيف تكشفون خططكم بهذه الطريقة؟ فرد عليه دايان ببرود بمقولته المذكورة. بعد ذلك قام الصحفي كارانجيا بتأليف كتابه الخطير بعنوان "خنجر إسرائيل" روى فيه تلك المقابلة قبل أن تقع حرب حزيران (يونيو) عام 1967. والأخطر من ذلك، أنه مع اندلاع الحرب طبق جيش الكيان الصهيوني ما ذكره دايان في مقابلته مع الصحفي بحذافيره، إذ كانت توقعاته صائبة، فلم يقرأ تلك المقابلة أحد ولم يستعد لها أحد .

2. هل العزوف عن المطالعة ظاهرة إجتماعيّة

في الواقع، اذا أردنا الإنجرار وراء التحيّز المعرفي والخصوصية الثقافية فإننا سوف نسرد مئات الآثار الادبية والتي تدل على عشـــق العرب للقراءة. لكن ما يؤســـف له هو ما أشـــار له تقرير منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة والتربية (اليونسكو) أن مستويات القراءة في العالم العربي متدنية مقارنة بالمعدلات العالمية. فقد شهد واقع القراءة في المجتمعات العربيّة تراجعا الأمر الذي يهدد بنتائج خطيرة في المســتقبل كفقدان الهوية وضــياع الموروث التاريخي . ويعتبر إهمال القراءة نتيجة طبيعية لانتشار ثقافة غير سليمة تمظهرت في سلوكيات وأقوال وردود فعل تعبر عن هذا النفور من المادة المقروءة والشعور بعدم نجاعتها(الوارث، حسن، 2010).

1.2. تمظهرات العزوف عن القراءة ونتائجها :

تحتاج عمليّة القراءة الى إرادة وطول نفس وعلاقة مع الكتاب لا تنقطع، لكن قد يحدث وأن يظهر عامل نفسي خبيث يجعل الإنسان كثيرا ما يردد « أنا لا أهوى القراءة » أو كقوله « أنا أنام لما أمسك الكتاب »، وهذا العامل النفسي ــ هو ما يهدد او يلغي الحماســـة تجاه القراءة ويزع الملل من الكتاب، لتبدأ مظاهر العزوف عن القراءة في التجلي، بخلق أسباب كأن يقال : « أنا لا أفهم ما أقرأ » أو «فهم أقوال العلماء فيه صعوبة », و«هذا سيأتي علاجه إن شاء الله »أو « القراءة لا تجدي نفعا في ظل هوامش أخرى من التحصيل ».

فتجد الفرد يهتم بأعمال كثيرة وينسى ــ الاهتمام بجانب القراءة والاطلاع ، ثم نجده يقول : « لا أجد وقتا للقراءة»، إضـــافة الى عدم الاهتمام بإيجاد مكتبة منزلية، فكيف توجد القراءة والمنزل فاقد لأحد أركانه وهو الكتاب لتقتصر ــ القراءة على المجلات والنشرات والصـــحف وهذه ليســـت مصـــادر للعلم والثقافة، كما يقبل على الأشرطة المتلفزة والأقراص المغنطة ويهمل الكتاب، ويبتعد عن الأجواء العلمية والنقاشـــات الهادفة مما يجعل الجفوة تزيد بينه وبين الكتاب.

من النتائج الطبيعيّة التي تنجرّ عن العزوف عن المطالعة والنفور من المكتبات، ضعف المستوى التحصيلي والثراء الثقافي واللغوي، ضعف ملحوظ في التعبير، الشعور بالنقص والفشل، ضعف البنية الاجتماعية للمجتمع، خلق جيل غير قادر على مواكبة ظروف الحياة وحل المشاكل التي تواجهها.

بشـــكل عام ينعكس هذا النتاج الثقافي الضـــعيف على واقع الثقافة العامة لدى أفراد المجتمع بحيث تتجرد من الإبداع الأدبي والفني والفكري كما أنها تكون خالية من أية ابتكارات وإبداعات جديدة في مجالات عدة تمكن الأمة من تيســير الأمور وتســيير الحياة وحل المشــاكل، لذا فإن الترابط وثيق جدا بين القراءة والثقافة المر الذي ذكرناه في بداية البحث حين تناولنا جدليّة العلاقة بين المطالعة والثقافة، إذ نجد العلاقة طردية فيما بينها فكلما تضـــاءلت القراءة في حياة الفرد أصـــبح مســـتوى القارئ في إدراك وتحليل وفهم الأمور ضـــعيفاً جداً (La Direction du Livre et de la Lecture, 2007).

2.2. لماذا العزوف عن الكتاب والنفور من المكتبات :

للقراءة في الوطن العربي صـــورة قاتمة، نتجت عن غياب المســـؤولية الفردية باعتبارها الســـبب المباشر في النفور من التحصيل الثقافي و حالة اللاوعي التـــي يعيشها الشباب في دنيا الإغراء والانشغال بملاهيها، والواقع أن مشـــكلة العزوف عن القراءة غير مقترنة بالمجتمع العربي فقط، وإنما هي مشـــكلة عالمية، ، إذ أن الدول التي

كانت شعوبها مدمنة على القراءة مثل الشعب الإنجليزي والشعب الفرنسي تعاني اليوم من هذه المشكلة، ولعلّ هذا ما جعل منها حسب التفسير السوسيولوجي ظاهرة إجتماعيّة حيث تناول عدد من كبار المفكرين والباحثين أزمة القراءة ومظاهر العزوف عنها بالتحليل والدرس.

وهذا ما دعانا الى التفكير في جملة المتغيرات التي تعددت وتنوعت، لكننا حاولنا حصرها وتبويبها في جمله من النقاط :

- **المتغير الاقتصادي** : في البلدان الفقيرة أو النامية لا تكون القراءة والمطالعة من أولويات الاهتمامات، إذ لا يمكن رفع شعارات القراءة للجميع في بلد أكثر من 50% منه تحت خط الفقر. فالغلاء الفاحش للسلع الاستهلاكية وشح الدخل المالي يجعل الفرد يقف عاجزا عن التفكير بشراء كتاب او مجلة أو حتى جريدة خاصة أن أسعار الكتب والمجلات مكلفة . إضافة الى غياب الدعم المالي أو قلته لانشاء المكتبات العامة ودعم الكتاب ليصبح رخيص الثمن وفي متناول الجميع. لكن هذا السبب ليس مقياساً ففي بعض الدول مثل دول الخليج العربي نجد دولاً غنية جداً وفيها نفس الحالة.
- **المتغير البيئي** : عادة ما يقاس وعي مجتمع ما بمستوى القراءة به، وهو ما أكدته الدراسات من خلال ما قدمته حول مستوى القراءة لدى الطفل الأميركي للذي يقضي نحو 6 دقائق قراءة في اليوم، في حين يقرأ الطفل العربي 7 دقائق في السنة، ولعلّ ذلك يعود الى طغيان الماديات واستغلال الآباء لأبنائهم في وقت المطالعة للبيع والشراء ، أو لقضاء بعض المصالح، لجهلهم قيمة الكتاب وأهمية المطالعة، ولاعتقادهم البسيط أنّ القراءة لا تندرج ضمن الامتحانات الرسمية فلا داعي إذا لحث الأطفال عليها، حيث يغدو في نظر الولي شراء شيء مادي لطفل (دراجة مثلا أهم بكثير من شراء كتب وقواميس لغوية أو سلسلة علمية، أو مجلات ثقافية) أهم وأنفع، إضافة الى انخراط الأم في العمل خارج المنزل لتثقلها الأعباء، وإن كانت غير عاملة فغزو القنوات الفضائية اهتماماتها وتبيت أسيرة المسلسلات. هذا التراجع لدور الأسرة ، قد جعل من ثقافة القراءة قبل النوم غائبة.

من جانب اخرى فإننا نستمع أحيانا الى تصريح للشباب عن معاناته وصراعه مع قيم اقرانه البالية والمحبطة احيانا، لا لشيء سوى لأنه اتخذ الكتاب صديقا، فينعتونه ب"المعقّد" و"المستكبر" و"الانطوائي".... والى غير ذلك من المسميات أو النعوت، قائلين "وأي شيء ناله القراء من كتبهم؟! هل صاروا " نجوماً "؟، نضيف الى هذا اسباب شخصيّة متمثلة في الجهل والغرور والنظرة القاصرة للنفس ويدخل ضمنها ضعف المستوى التعليمي، و أسباب إدارية لدى من لا يحسنون تنظيم وقتهم ولا يعرفون أولوياتهم ولا يرتبون أدوارهم الحياتية، وهذا بشكل عام ما يجعلنا نقول أن للمتغير البيئي دورا واضحا في تحديد مستوى القارئ العربي.

- **المتغير التعليمي:** يذهب الكثير من الباحثين في واقع القراءة في العالم العربي الى أن طبيعة مناهج التعليم التي تعتمد التلقين والحفظ واستدعاء الذاكرة عند ضرورة الامتحان وكثافتها، تشجع على النفور من نشاط القراءة، وتجعل الطالب أو التلميذ يشعر بالملل إلى حد كراهية الكتاب، إضافة إلى أن المناهج التعليمية لم تعد تحوي في طياتها ما يدفع للبحث والقراءة، كما أنّ غياب المعلم القارئ النموذج الذي يثري المناهج بتلخيص

الكتب ومناقشـــتها يعتبر ســـببا في العزوف عن المطالعة والذي يتعزز بافتقار المدارس الابتدائية الى مكتبات مدرسية.

- **المتغير الثقافي:** المتمثل في ازمة خطاب النخبة، ازمة المثقف حين يرتفع بخطابه عن القارئ العادي مستنكفآ عن تبسيط خطابه في طرح مشاريعه. ولعل هذه القضية باتت احدى المعضلات الثقافية فمن يصعد للآخر؟ ومن يهبط للآخر؟ هل على المثقف ان ينزل بخطابه الى القارئ العادي ؟ ام ان على القارئ العادي ان يرتقي بنفســه ليصــل الى خطاب النخبة؟ والواقع اننا يجب ان نطرح صــيغا ثقافية حضــارية ليلتقي كل من المثقف والجمهور عند منتصف الطريق. فالمثقف الحقيقي هو الذي يستطيع ان ينتزع نفسه من برجه العاجي ليصل الى قارئه العادي.

من جانب آخر فقد طرح محمد عابد الجابري رؤيته للموضــوع قائلا " ان التخلف ليس هو غياب العلم فقط ولكنه العلم حين ينفصــل عن الثقافة". ويتعزز هذا المتغير الثقافي بما تبثه وســائل الإعلام من برامج غير هادفة وتنحدر أحيانا الى مســتوى الســعي إلى هدم القيم والمبادئ الفاضــلة بما ينشرــه من برامج ومشــاريع اعلامية ضعيفة، قد تكسب الأطفال الكثير من السلبيات، دون محاولة توجيه أو علاج لهذه المشكلة من الأبوين.

وربما تعود بعض الأسباب أيضا الى قلة المؤلفين والكتاب المختصين في أدب الطفل، واهتمام الناشرين بالجانب التجاري فقط على حســاب الجانب التربوي، وغياب التشــجيع على الأنشــطة المتمحورة حول مطالعة الكتب والإلهام بها و قلة المعارض المنظمة التي تقرب الكتاب من الطفل.

- **المتغير السياسي:** والمتمحور في سياسة بعض الحكومات ، فلا يحق للفرد أن تقرأ إلا ما تقدمه له هذه الحكومات، ولا يحق له أن يفكر إلا فيما تسمح له به، لا يحق ل ابداء الرأي إلا بموافقتها.

- **المتغير التكنولوجي:** ندرك انه قبل ثورة المعلومات والاتصالات كانت وسائط المعرفة تقليدية ومحدودة تتمثل في الكتاب المطبوع التقليدي واجهزة الاعلام المحلية. وبعد أن انطلقت ثورة المعلومات والاتصــالات، طغت القنوات الفضــائية التي أصــبحت وسـيلة ترفيهية وثقافية وتعليمية سـهلة ومريحة لا تحتاج إلى عناء أو مال أو إعمال للفكر، انصبّ الجهد على اقامة مجتمع المعلومات، فإتسم النشر الالكتروني بالسرعة والإثارة والسهولة في الحصــول على المعلومة وبصــور متعددة ودون أن تكلف الفرد جهدا أو مالا مما أفقد الكتاب بريقه وأهميته (صالح، أمل، 2012) .

لكن ســعيا لتدارك هذا الموقف الحرج والضــعف المعرفي للذي يمر به المجتمع العربي ، فإنّ التفكير في بناء جيل مثقف محب للقراءة قادر على المبادرة والبناء يعتبر مشرـوعا آسـاسـيّا، لارتباط مفهوم القراءة بالثقافة من ناحية ولانّ الثقافة تحرّك الوعي بمسألة الهوية والحفاظ على الموروث الحضاري.

3. حتميّة المصالحة مع فعل المطالعة وآليات الترغيب فيها :

لم يعد من الجائز التغافل عن أهميّة المطالعة المبكرة ونلك لما توفره للأطفال من ســبل الترفيه وتطوير القدرات النفســيّة والذهنيّة فضــلا عن غرس دعائم الرغبة الحقيقيّة في المطالعة (الحمزاوي حســناء، 1998) المســتديمة وحب الكتاب، لكن بناء علاقة حميميّة مع الكتاب تفترض إصــلاح العقليّة وتحديدا العقليّة العربية

قصـــد بناءها من جديد، عبر تكريس مهارات وأســـاليب القراءة الحديثة وتوعيتهم بضرـــورة بعث المزيد من المكتبات والتحســـيس بأهمية دورها كوســـيط معرفي وإعطاء المثقف العربي مســـاحة اكبر والتركيز على دور الوالدين في توثيق الصـــلة بين الطفل والقراءة منذ نشـــأته، كما إن هذه الانطلاقة تتطلب اســـتراتيجية شـــاملة تتعاضد فيها ادوار جهات متعددة من أسرة ومدرسة وأعلام ومراكز ثقافية وجهات حكومية.

كما قد يتساءل البعض عن جدوى البحث عن مواقع ألعاب تعليمية للأطفال ، لكن هذا الأمر أصبح ضرورة لا غنى عنها في هذه الأيام، حيث يولد الأطفال عمليا مع القدرة على اســـتخدام الأجهزة الذكية، والاســـتيعاب الفوري و الجيد لكل ما له علاقة بالتكنولوجيا منذ سن مبكرة.

1.3.دور المؤسسات في التهيئة النفسيّة للترغيب في المطالعة : الأسرة وفضاءات المطالعة

يحرص العقلاء على ترغيب وتحبيب أطفالهم وأبنائهم في المطالعة، ويتفانون في تقديم كل الوسـائل والسـبل التي تعينهم على ذلك ، لعلمهم وإدراكهم بأهمية القراءة ومكانتها في بناء النفس والعقل ودورها في تهذيب وتقويم الســـلوك. ولهذا يبدو انّ الإعداد النفسيـــ من أهم الخطوات الأولى لتحظير عمليّة الترغيب في المطالعة والتعود على ممارســـتها لتصـــبح جزء من حياة الفرد. إذ يبدأ الطفل بحب القراءة والكتابة منذ تعلّم الحروف الهجائية بل منذ أن يرى إخوانه في الصـــف الأول الابتدائي يحملون للدفاتر والكتب فيبدأ في تقليدهم، وهذا ما يستدعي منّا التنبّه لهذه المرحلة واستغلالها في تعليمه وتشجيعه(صالح، سيد يونس، 2002) .

ويبدو أن تكوِين مكتبة متنوعة في البيت ســيعوّد الطفل على شــكل الكتاب ويســتميله الفضــول لتصــفحه، فتتشكّل الخطوط العريضة لميولاته القرائيّة وملامح شخصيته وتنمية مهاراته منذُ الصغر، لذلك من المستحسن البحث عما يســـتهوي الطفل لتوفيره بمكتبة البيت ليبدأ بقراءة ما يحب مثلا عن الشـــخصـــية المحببة له، أو الرياضــة المفضــلة أو تاريخ الحروب أو كيفية اختراع شيء ما ... من أكثر وســائل محببة في القراءة أن يشــعر الطفل باستفادة تعودُ عليه من وراءِ قراءته .. لذا لابدّ من وضـع خطة منهجية للمطالعة، كأن يحدد ما سـيقرأ خلال الشـــهر مثلا أو كم كتاباً ينوي قراءته وما هي الموضـــوعات التي ســـيركز عليها مع تحديد الوقت والمكان المناسبين مع المحافظة على أوقات القراءة ... لتكون جزء أساسي من البرنامج اليومي ...

من ناحية أخرى يجب تعويد النفس على البحث قبل أن الســـؤال، إضـــافة الى أهميّة العلاقات الإجتماعيّة في شـــكل صـــداقات نشـــاركهم وننقل إليهم ما نقرأ وهذا من شـــأنه أن يبعث الشـــعور بقيمة ما قرأت وفائدتها وستشعرُ أيضاً أنك تؤدي رسالة سامية عند نقل العلم. ويعود الواجب الأول في الإعداد النفسيـ Stanislas) (Dehaene, 2007 في الترغيب في المطالعة الى الأسرة في التبكير بتعويد الطفل على جلســـة قراءة أســـبوعية في البيت مما يشـــعره بالاعتزاز والثقة ويدفعه للرغبة في مزيد من القراءة، أو قراءة جزء من القصـــة وطلب من الطفل أن يجتهد في ذكر النهاية المتوقعة للقصـــة قصـــد مزيد التشـــويق. إضـــافة الى قراءة قصـــة قبل النوم، مع التدرج في معالجة الأخطاء أثناء النطق في القول، وعدم السخرية منه أثناء الخطأ بل بتشجيعه المستمر والتعويل أحيانا عليه بإرســـاله لشـــراء القصـــص ، والكتب والمجلات المفيدة ســـواء له أو للأب أو الأم أو لأحد أفراد الأسرة، (الحمزاوي، حسناء، 1998).

من جانب آخر، تعدّ المكتبة من أفضل المؤسسات التي تتدخل في مرحلة ثانية من عمر الطفل لتنمية وعييه بالقراءة وتمنحه الفرصة لإتقانها والتعود عليها لتنمية إمكانياته العقليّة، لكنّ ذلك مرهون بما تقدمه لجعل المطالعة محببة للطفل، بحيث يشعر أنها مصدرا معرفيّا، فيتعود على البحث عن الكتب في المكتبة ومعرفة أسمائها وأماكنها حسب تصانيفها.

ويبدو انّ اختراق النمط الروتيني لمفهوم المكتبة الضيق والمحدود ترابيّا أصبح ذا أهميّة حتى تجدد أنفاسها ويتوسع نشاطها قصد تبادل الخبر وبالتالي تبادل الفائدة، وربما يكون خلق نوادي مغاربيّة للمطالعة داخل المكتبة سيجعل منها فضاء جذاب مخترقا للنمطيّة التي تعودنا عليها في تسيير المكتبة، تتولى هذه النوادي ضمّ هواة للمطالعة وتضع مناهج لنشاطها. تجري المسابقات لهواة المطالعة على الصعيد المغاربي واستمالتهم لإرتياد فضاء المكتبة حتى لا يتصرفوا الى وسائل الترفيه الأخرى.

بعث مكتبة سريعة ومتنقلة على الصعيد الوطني والمغاربي في الأماكن التي يرتادها الطفل قصد اللعب واللهو عملا بالقول علّم الصغار وهم يلعبون، فيتعاطون القراءة ويتطلعون على مختلف الأفكار والكتابات والتجارب وطنيّا ومغاربيّا.

ولا بأس بأن يتقدم أمناء المكتبات بتنظيم أنشطة يكلّف خلالها الطفل بتقليد شخصيات القصة في شكل مسرحي ومن ثمّ إهداءه مجموعة من الكتب لتشجيعه على تنويع قراءاته. وخلال العرض يقع تقديم نبذة عن شخصية المؤلف والكتاب بطريقة شيقة وجذابة، وذلك قصد التعريف بالعلماء والمفكرين والأدباء والعباقرة والمخترعين وبث الوعي فيهم أنّ هؤلاء ما برزوا ولا اشتهروا إلا بسبب العلم والمعرفة. وتشجيع الطفل عبر مسابقات وطنيّة[2] أو مغاربيّة على محاولة كتابة القصة القصيرة، أو حكم ، أو نحو ذلك ونشرها في المجلات مع

---

[2] نذكر في هذا الصدد البطولة الوطنية للمطالعة بتونس، وهي تظاهرة ونشاط ثقافي أرسته إدارة المطالعة العمومية بوزارة الشؤون الثقافية سنة 2020 /2021 ، وكانت دورته الثانية سنة 2022. تعمل على تأمين فعاليات هذه التظاهرة المكتبات العمومية بكامل تراب البلاد التونسيّة. ترتكز الفكرة أساسا على إتاحة الأوعية الورقية والرقمية لجميع شرائح المجتمع مع مراعات مختلف الميولات والمستويات. تهدف التظاهرة إلى ترسيخ تقاليد المطالعة باعتبارها ممارسة ثقافيّة ثابتة وتأكيد فعل القراءة وتطوير الزاد اللغوي والمعرفي للقارئ التونسي وتعميق الوعي بأهمّيّة دور الكتاب و الوسائط الأخرى في عملية التنشئة الاجتماعيّة، وحثّ القارئ على ارتياد المكتبة وتنمية زاده اللّغويّ و تعزيز فعل التعلّم، المساهمة في الحدّ من معضلة العزوف عن الكتاب كما تهدف إلى تثمين انخراط العائلة في الفعل الثقافيّ .

وعملا على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص عملت إدارة المطالعة العموميّة على أن تنطلق التّظاهرة في مرحلة أولى، بتصفيات على المستوى المحلّي ثمّ الجهوي وتنتهي البطولة بتصفيات نهائيّة على المستوى الوطنيّ، حيث خصّص المنظمون جوائز هامة للمتوجين في البطولة الوطنية الأولى للمطالعة، حيث تبلغ قيمة الجائزة الأولى 5 آلاف دينار وهي للشريحة العمرية المتوجة بكأس البطولة، مع إهداء 50 كتابا. وتبلغ قيمة الجائزة الثانية 3 آلاف دينار مع تخصيص 50 كتابا والثالثة الفيْ دينار مع تخصيص 50 كتابا أيضا لكل شريحة عمرية متوجة، وتقديم ميداليات ذهبية تحمل شعار البطولة لكافة المترشحين. وبشكل عام يعتبر كل المشاركين في التظاهرة فائزون ، فكل مشارك إن لم يفز بالكثير فقد فاز بالقليل باعتبار وأن المخزون المعرفي الذي أكتسبه المشارك في البطولة هو فوز له في حد ذاته.

تراوحت أعمار المشاركين في البطولة الوطنيّة للمطالعة بين 6 و80 سنة واختلفت فئاتهم بين تلاميذ وطلبة ومهنيين، كما شاركت فئة هامة من أصحاب الهمم من فاقدي وضعيفي البصر وذوو الإعاقة العضوية، والطريف في التظاهرة أن ينخرط في المسابقة أباء وأمهات من دور رعاية المسنين، وكذلك نزلاء المؤسسة السجنيّة، والذين تمّ إدماجهم بشكل عفوي وغير ملحوظ بين المشاركين في التظاهرة ودون تحسيس أو إشارة إلى وضعيتهم.

صـورة الطفل إن أمكن لما في ذلك من تأثير وقوة دفع للقراءة حتى ينجح الطفل في الانتقال الى القراءة الإبداعيّة المتمثلة في التأمل والتفكير على أساس أنه لكلّ نص قراءات بعدد قرائه، ففي هذه المرحلة يصبح الكتاب مصدرا للتفكير والإبداع وتجعل المطلع يغوص في المادة المقروءة ليكتسـب الحقيقة فيما يقرأ ويسـتدعي الأفكار المخبوء التي يمتلكهـا هو والتي يمزجهـا بتخيلـه فيزداد رصـيـده من المـادة المقروءة ويصـبح قـادرا على توظيفـه واستخدامها أو إعادة كتابتها و التعبير عنها.

وترتكز القراءة الإبداعيّة على إستراتيجيّة المراحل الثلاث: مرحلة ما قبل قراءة النص وترتكز على التنبؤ بالأفكار، المرحلة الثانية أثناء قراءة النص يطرح الطفل جمل من التسـاؤلات، أما المرحلة الثالثة وهي بعد قراءة النص وهي التقديرات والنقد مع اقتراح التعديلات التي يمكن إضافتها.

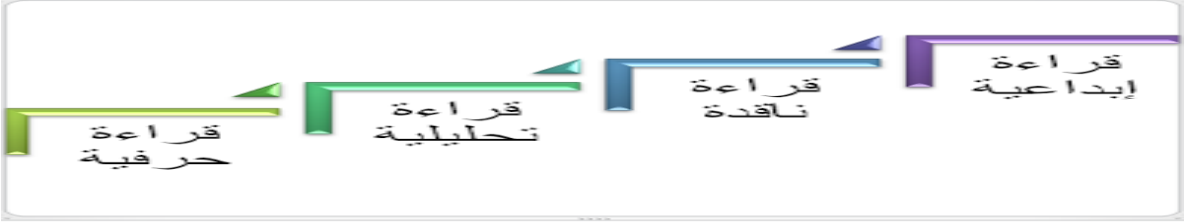

2.3. كيف تستغل تكنولوجيا الحديثة في الترغيب المطالعة :

تعرضت القراءة كغيرها من الأنشطة في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال إلى العديد من التغييرات التي ترجمت في تغيير في ممارسـات القراءة من جهة وتغيير في هوية القارئ من جهة أخرى، ففرضـت بالتالي على القارئ علاقة مغايرة. إذ، تضـع القراءة على الشـاشـة القارئ في وضـع جسـدي جديد، وتجربة حسـية مختلفة، عكس القراءة الورقية التي تضـع القارئ في وضـعيات مختلفة، ومتنوعة، يختارها القارئ بنفسـه، ويفضـل بعضـها عن الأخرى حسـب رغبته وعلاقته بالكتاب. وهذا الوضـع الجديد يضـع القارئ أمام تحدي تكنولوجي سريع، يسـتوجب الوعي به لاعتبار أنه تمهيد لثقافة الجديدة، تنخرط فيها وسـائط التكنولوجيّة جديدة، والتي تفرض منطقا مخالفا لمنطق الثقافة المألوفة، خاصـة وأنّ هذه الثقافة الجديدة تعتبر مرحلة انتقالية تعيشـها المطالعة في المشـهد العربي. وهذا ما يجعلنا نتناول التغييرات الحاصـلة في بعض ممارسـات القراءة في عصر تكنولوجيا المعلومات والإتصال وإن كان من الصعوبة بمكان الخروج بخلاصة أو استنتاجات جازمة حول هذه المسألة.

فقد تميزت الكتابة الرقمية بتقنية "الما فوق نصـية" Hypertextuelle التي نقلت النص من البعد الجامد المنغلق على مضـمونه إلى النص المرتبط بأجزاء المعرفة الأخرى عن طريق العلاقات الفوقية Hyperlinks الموضـوعة مسـبقاً من قبل الكاتب، والثاني هو القراءة التحليلية التي يسـتعين القارئ خلالها بالمخزون المعرفي

للذي يملكه، ومن هنا بعثت المكتبات المتوافرة على الخط والتي أطلق عليها بالمكتبات الافتراضـــية Virtuelle، ومنها ولادة هوية جديدة لقارئ عصر- تكنولوجيا المعلومات والاتصـال وخدمات بأسـاليب الكترونيّة. وعلى هذا الأساس فإنّ التقنيات الحديثة للمعلومات ستؤثر حتما في سير نشاط المكتبات وفي سلوك المستفيدين لتصبح العلاقة ماشرة ين المعلومة والمستفيد، وبدون شكّ ستتأثر أساليب الترغيب في القراءة ووسائلها، فتنوعت أدواتها لتشـــجع الطفل على القراءة وهذا ما يتطلب تدريب أخصـــائي المعلومات على حســـن اســـتغلال هذه التقنيات للاستفادة منها لغاية تحسين الخدمات المكتبيّة وتوفير المعلومات الصوتيّة والمصوّرة والرقميّة.

وعلى الرغم من أنّ الأطفال يســـتخدمون المعلومات بكثافة في المكتبات، إلاّ أنه لوحظ أنّ معظم تقنيات المعلومات تلبي أكثر حاجيات الكبار، ولهذا بدأ الباحثون ينظرون في الطرق والأســـاليب التي يتبعها الأطفال في البحث عن المعلومة من أجل العمل على تلبية احتياجاتهم بطريقة حســـنة، وقد قاد هذا البحث في هذا المجال الى إنشاء مصادر معلومات إلكترونيّة صممت خصيصا للأطفال (Fasick, Adele M , 1992) .

وقد يتبادر الى الذهن هل نحن في حاجة الى اسـتخدام تقنيات المعلومات الحديثة في مكتبات الأطفال مع علمنا بأنها مكتبات صغيرة والعمل بها بسيط ويقوم به شخص واحد في أغلب الحالات ؟

إننا في حاجة شـــديدة الى اســـتخدام تقنيات المعلومات في مكتبات المصـــادر جنبا الجنب مع مصـــادر المعلومات الورقيّة وغيرها من فئات مصـادر المعلومات مثل السـمعيات والبصـريات، لإعتبار أنّ مكتبات الأطفال هي قاعدة الهرم في نظام المعلومات، وأنّ تطوير نظام وتحديثه يبدأ من القاعدة، لأن المكتبة هي اول أشـــكال مؤســـســـات المعرفة التي يحتكّ بها الطفل، ولا مفرّ في ضـــل هذه التطورات أن يتعوّد الطفل على التعامل مع البيئة الإلكترونيّة، خاصة أنّ الطفل أسرع في تعلم أدوات المعرفة الجديدة (عزمي، هشام، 1998).

وقد ثبت أنّ استخدام تقنيات المعلومات له مردود إيجابي على قدرة الأطفال على التعليم الذاتي، فضلا على أنّ تقديم المعلومات بأســاليب جديدة يزيد من فرص الفهم والإســتيعاب للأطفال كما يحثهم على مزيد الإســتخدام وتجربه أفكار جديدة وتنمية روح المغامرة، (عزمي، هشام، 1998).

وتتيح شـــبكات الواب العديد من الخدمات التي يجب حســـن اســـتغلالها من مصـــادر إلكترونيّة من كتب وموسـوعات وغيرها فضـلا عن المنهج الدراسي والألعاب الترفيهيّة والسـمة الأسـاسـيّة للأنترنات هنا هي فوريّة المعلومات وحداثتها. والمتصـفح للأنترنات يجد إتجاها متزايدا نحو الإهتمام بمواقع الأطفال، مثل موقع الأطفال الخاص بالبيت الأبيض الأمريكي للتعريف به وبتاريخه، وموقع حورس الصـــغير Little Horus الذي أنشـــأه المركز الإقليمي لتكنولوجيا وهندســـة البرامج بالقاهرة، وهو أول موقع مصـــري يصـــمم خصـــيصـــا للأطفال المصـــريين وأطفال العالم باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والهدف من الموقع تثقيفي ترفيهي تقوم شـــخصـــيّة كرتونيّة وهي حورس بالتعريف بالموقع وبمصـــر وتاريخها ومواقعها، ويســـمح الموقع للصـــغار من تقديم اســـتفســـارات يتولى حورس الإجابة عليها. ويقع تحديث هذا الموقع بإســـتمرار لجذب انتباه الأطفال وإضـــافة عنصر التشويق بصفة دائمة(محمد اسماعيل، هبة، 2001).

و ظهرت أيضـــا خلال الســـنوات الأخيرة مواقع للأطفال باللغة العربية(http://www.new-educ.com) نذكر منها :

- **موقع عصافير** : وهو موقع عربي مازال في نسخته التجريبية، متوفر أيضا على شكل تطبيق أندرويد وIOS و يتيح هذا الموقع مجموعة من القصص المصورة للأطفال و الألعاب التعليمية و تطبيقات الرسم و الوسائط المتعددة والمصنفة حسب الفئة العمرية.

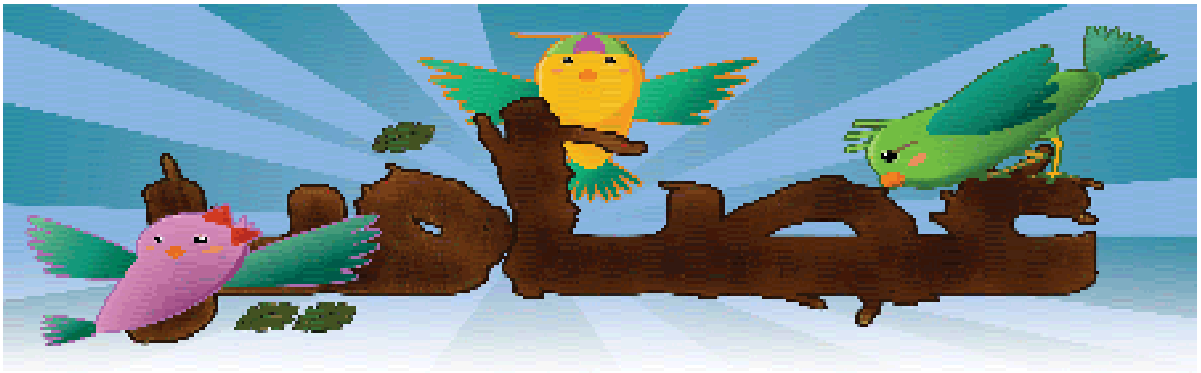

- **موقع أ ب ت** : يهدف موقع أ ب ت إلى تعليم اللغة العربية للأطفال من خلال اللعب والتسلية دون إشعار الطفل بأنه يتعلم. برنامج أ ب ت مصمم للأطفال من عمر 4-7 سنوات، ولا يتطلب أي معرفة مسبقة بالقراءة أو الكتابة. المراحل الأولى من البرنامج تهدف إلى تعليم الحروف الأبجدية بأشكالها المختلفة وطرق تشكيلها، في حين أن المراحل المتقدمة تهدف إلى تعليم أساسيات القراءة والكتابة، مع القدرة على تكوين الجمل القصيرة.

* **موقع كيدز دوت جو** : موقع تعليمي و ترفيهي للأطفال، يقدم محتوى عربيا موزعا على ستة أقسام رئيسية؛ أولها للمعلومات العامة، والتي تقدم بلغة بسيطة وميسرة، أما ثانيها فهو قسم خاص للضحك والنكات، ثم قسم خاص بالألعاب بمختلف أشكالها وقسم يعطي دروسًا مبسطة في مختلف العلوم، وقسم للرسم والتلوين وأخيرًا قسم للقصص والحكايات، كما يقدم الموقع أيضا نصائح للآباء بشأن تربية الأطفال، والاهتمام بصحتهم، وأهم الوجبات والوصفات المحببة للأطفال.

أما باللغة الإنجليزية فقد توفرت كذلك مواقع للأطفال (http://www.new-educ.com) نذكر منها :

- **National Geographic Kids**: أطفال ناشـــيونال جيوغرافيك، موقع باللغة الإنجليزية، تابع لمؤســـســـة ناشـــيونال جيوجرافيك، يحتوي على ألعاب وفيديوهات تعليمية ومســـابقات حول الطبيعة والحيوانات والكون وغيرها من المعلومات المفيدة التي تعزز ذكاء الأطفال و تطور مهاراتهم، دون حتى أن يشـــعروا بأنهم بصدد التعلم.

- **Funbrain** : موقع متكامل للتعلم بتوظيف بيداغوجيا اللعب، يقدم هذا الموقع العديد من الألعاب التفاعلية مثل Grammar Gorillas وMath Baseball . يوفر الموقع العديد من الكتب الإلكترونية و القصـص المصـورة، مثل Diary of a Wimpy Kid الذي رشـح لجائزة Nickelodeon Kids' Choice Awardومما يميز هذا الموقع أيضـــا، أنه توفّر للآباء خيار التصـــفية، حتى يتمكنوا من اختيار الأقســـام والمحتوى المتناسب مع الفئة العمرية لأطفالهم.

- **Funology** : يمكن الموقع من العثور على تجارب ممتعة في الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا، والطقس، ليقوم بها الأولياء والمعلمين الذين يبحثون عن الأنشـطة الترفيهية التي يمكن إنجازها مع أطفالهم في العالم الحقيقي، بعيدا عن شاشات الاسوب والتلفاز، وفي نفس الوقت يقع تعليمهم وتدريبهم، ويمكّن الموقع أيضا البحث في المحتوى حسب العمر ونوع النشاط للعثور على ما يناسب اهتمامات الطفل.

- **Lawrence Hall of Science** : يوفر القســم الموجه للأطفال من الموقع عددا لا يحصى من الأســئلة البســيطة و المثيرة للاهتمام والمعقدة أحيانا ويعمل على الإجابة عليها بطريقة بســيطة، يوفر الموقع رابطا خاصـا و عندما يجد الطفل موضـوعا مثيرا لاهتمامه، فإنّ يحيله الموقع يحيله على شرح موجز للموضـوع و يقترح عليه تمرينا عمليا للتمكن منه، هذا بالإضــافة إلى التجارب والألعاب والأنشــطة التي يقدمها الموقع للأطفال الأصغر سنا.

- **Light Up Your Brain** : هذا الموقع متخصص أساسا في تقديم كتب صوتية للأطفال ما بين سبع سنوات وإنثي عشرة سنة، ويحتوي إلى جانب ذلك يحتوي على مجموعة جيدة من الألعاب التعليمية. وخلافا لغيره من المواقع الأخرى، تركز ألعاب هذا الموقع أكثر على المنطق، و تهدف أساسا لتنمية مهارات التفكير لدى الأطفال الصغار.

- **ABCya** : يتميز هذا الموقع بتصنيفه الألعاب التعليمية حسب الصف الدراسي للأطفال بين خمس وانثي عشرة سنة، مما يجعل من السهل ايجاد الألعاب المناسبة لمستوى دراسي أو فئة عمرية معينة. و تتنوع الألعاب المعروضة في الموقع مما يسمح للأطفال بالتطور تدريجيا خلال اللعب، بالانتقال من مستوى معين إلى المستوى الأعلى منه، و بهذا لن يشعروا و كأنهم يلعبون نفس اللعبة. مجالات هذا الموقع تغطي كل المواد الدراسية تقريبا، من الرياضيات إلى الدراسات الاجتماعية. موقع ABCya يوفر أيضا العديد من الكتب الصوتية التفاعلية.

وبهذا الشكل وفي عالم تدخل فيه التكنولوجيا بشكل متزايد في كل تفاصيل حياتنا، يكمن الحل الأمثل بالنسبة للآباء في تسخير التكنولوجيا و ما تزخر به من إمكانات هائلة لصالحهم، من خلال السماح لأطفالهم بتوظيف الألعاب التعليمية التي من شأنها تعزيز مهارات القراءة، فيتمكن الطفل عبر الأنترنات أن ينهل من الثقافة مع ضرورة الحذر من دخول الأطفال الى مواقع غير آمنة وذلك بتركيز برامج مخصصة تعمل كحائط صد للدخول الى تلك المواقع، إضافة الى تقييم المواقع من قبل المكتبة أو الأباء(محمد اسماعيل، هبة، 2001) .

الخاتمة :

خلاصة القول أن لثقافة القراءة على المستوى الفردي والمجتمعي عائد معنوي قبل المادي، حيث توظف القراءة كوسيلة علاج فعالة تحت إشراف الطبيب النفسي– أو الأخصائي النفسي– أو الاجتماعي ويطلق عليها العلاج بالقراءة أو الببليوثيرابيا. ولذلك تعتبر القراءة من أهم المعايير التي تقاس بها المجتمعات تقدما أوتخلفا، فالمجتمع القارئ هو المجتمع المتقدم الذي ينتج الثقافة والمعرفة، ويطورها بما يخدم تقدمه.

ولهذا نقول أنّ المكتبة فضاء متعة ومؤانسة على حدّ قول أبي حيان التوحيدي، وهي من أهمّ عوامل التنشئة الإجتماعيّة والثقافيّة، لذلك فهي مطالبة برفع بعض التحديات لعلّ أهمها وعي الإطار المكتبي بحساسيّة دوره في حمل الطفل على المطالعة وإعانتهم على الفهم والتصرف فيه مؤسسين بذلك سياسة للترغيب في المطالعة، ومدربين إياهم على استغلال التكنولوجيا الحديثة، ليتتطور مفهوم المطالعة من تناول الكتاب والإقبال على قراءته لاكتساب المعارف والمحتوى، الى توظيف للتقنية التي أوجدت للطفل صور آخرى للمطالعة تشده وتستقطب اهتمامه... ولهذا إننا بحاجة الى إعادة النظر في تجديد وتطوير المكتبات المغاربيّة ووظائفها خصوصا امام التحولات التي يشهدها العالم والانتشار الهائل لوسائل الاتصال، ليقع استغلال الوسائط الإلكترونيّة مع الوسائط الورقيّة واستغلال الأنظمة الآليّة المناسبة حتى يتعود الطفل ويتعايش مع البيئة الإلكترونيّة الجديدة.

كما يبدو أنّ استغلال الأنترنت في مكتبات الأطفال أصبح ضرورة لما للأنترنات من أهميّة في اتاحة المعلومة وعديد الخدمات للأطفال، وهذا ما يجعلنا نفكر ثمّ نقترح إنشاء مواقع مغاربيّة للأطفال، يقع تقييمها دوريّا.

قائمة المصادر والمراجع :

- أوباري، حسين. (2015). **10 أفضل مواقع تعليميّة للأطفال**. [على للخط]. أفضل-مواقع-تعليمية-للأطفال http://www.new-educ.com اطلع عليه في (30 -12-2022)

- جابر، جميلة. (ديسمبر2006). "ممارسات القراءة في عصر تكنولوجيا المعلومات والإتصالات". في *Cybrarians journal*، ع11. [على الخط]،(http://journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id) اطلع عليه في (12-12-2022)

- الحمزاوي، حسناء. (24 أكتوبر 1998). "الإعتناء بالمطالعة المبكرة تأسيس للمطالعة الدائمة" . **الندوة الجهويّة لرسكلة وتكوين أعوان المكتبات بولاية سيدي بوزيد**.

- راشد، نتيلة. (1988). **مسيرة ثقافة الطفل العربي : دراسة توثيقية حول جهود خبراء ثقافة الأطفال وتوصياتهم**. القاهرة : المجلس العربي للطفولة والتنمية.

- صالح، أمل. (26-5- 2012). "أسباب العزوف على القراءة". في الندوة السنوية بعنوان **أدب الأطفال: الواقع والمأمول.** مكتبة بلدية نابلس.

- صالح، سيد يونس. (2002). **تنمية بعض المهارات القرائية وآداب القراءة والمعرفة**، القاهرة : كلية الشريعة، عين شمس.

- عزمي، هشام. (1998). "المكتبات المدرسيّة :المصادر، التجهيزات والتقنيات"، في **الندوة القطريّة للمكتبة المدرسيّة**، الدوحه.

- محمد اسماعيل، هبة. (2001). "نحو معايير لتقييم مواقع الأطفال على شبكة الانترنت". **في عالم المعلومات والمكتبات والنشر**، مج 2، عدد2. صص182-193

- الوارث، حسن. (27-10-2010). "ظاهرة العزوف عن القراءة أسبابها وطرق علاجها"، في **طنجة/ الأدبيّة: الجريدة الثقافية لكل العرب**. ملف الصحافة 02/2004.

- Baune, Isabelle. (2005). « Perriault, Jacques, Bibliothèques de lecture publique : pour une nouvelle visibilité » in *Bulletin des bibliothèques de France*, n°1.

- « Définition de lecture ». (11 mai 2011). in *Les définitions : déco de définitions,* , [en ligne]. http://lesdefinitions.fr/lecture. Consulter le 10-11-2022.

- La Direction du Livre et de la Lecture (DLL) et Le Centre national du livre (CNL). (*22 février 2007*). « La culture en question : La place du livre et de la lecture dans notre société », *in L'avenir du livre , Colloque organisé à Sciences-Po – Paris.* [en ligne]. http://www.fabriquedesens.net/La-culture-en-question-La-place-du. Consulter le 20-11-2022.

- Fasick, Adele M . (1992). « What Research Tells Us about Children's Use of Information Media », *in Canadian Library Journal.* Vol 49, Num 1. [en ligne]. https://www.learntechlib.org/p/145693/ . Consulté le 29-10-2022.

- Horellou-Lafarge, Chantal . Segré, Monique. (2007). *Socilogie de la lecture*, paris, la découverte.

- Bourque, Solène. (Octobre 2017). « L'importance de la lecture », in *Naitre et grandir* , [en ligne], http://naitreetgrandir.com/fr/etape/1_3_ans/langage/fiche.aspx?doc=ik-naitre-grandir-enfant-importance-lecture-lire. Consulter le 10-10-2022.

- Stanislas Dehaene. (2007). *Psychologie cognitive expérimentale : Les mécanismes cérébraux de la lecture*. [en ligne]. http://www.college-de-france.fr/media/stanislas-dehaene/UPL54166_18.pdf. Consulter le 18-12-2016.